(الدلالة العربية المعاصرة:
تطبيقات على المتداول اليومي)

تأليف د. فايز الداية

عرض أ. د. عبد الناصر عسّاف(*)

كان ممّا صدر سنة ٢٠٢١م في سلسلة (قضايا لغوية) التي تصدر عن الهيئة العامّة السورية للكتاب كُتيّبُ (الدلالة العربية المعاصرة: تطبيقات على المتداول اليومي) للأستاذ الدكتور فايز الداية(١)، الذي عُنيَ فيه برصد ما في بعض المتداول اليوميّ في العربيّة المعاصرة من الألفاظ والتراكيب واستعمالاتها من تطوّرٍ دلاليٍّ، وتبيينه وتحليله بإيجاز.

وقد بنى المؤلّف الكتيّب في ثلاثة أقسام مترابطة:

الأوّل: قسمٌ نظريّ عنوانه (إشارات ودلالات على الطريق)، فيه خطوط نظرية مجملة كما قال المؤلّف [ص١٠٤]، تكلّم فيه على الدلالة والدوالّ، والعلاقة بين الدالّ والمدلول، ومعرفة القدماء في العالم القديم: سورية وبلاد الرافدين ومصر والهند واليونان للدلالة، وبروز بدايات علم الدلالة

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

(١) الدلالة العربية المعاصرة: تطبيقات في المتداول اليومي، د. فايز الداية، الهيئة العامة السورية للكتاب – دمشق، ٢٠٢١م. وقد رأيت أن أحيل على الكتيّب في المتن تجنّبًا لكثرة الحواشي.

في جهود عدد من اللغويّين الأوربيّين: الفرنسي رويال، والسويسري دو سوسور، وتلميذه شارل بالي، والإنجليزي فيرث، ومولد كتب بعنوان («علم الدلالة» semantics – semantique) في اللغتين الفرنسية والإنجليزية في النصف الثاني من القرن العشرين؛ وعرض لبعض ما للدلالة وعلم الدلالة من مفاهيم ومصطلحات كالسياق والمساحة الدلالية والوحدات الدلالية والحقول الدلالية، وقوانين التطوّر.

وقد عرّف بعد ذلك بالمتداول اللغويّ المعاصر الفصيح واللهجيّ، وبالرصيد اللغويّ (الثروة اللفظية) بأقسامه: الرصيد العامّ الذي لا تتغيّر دلالاته، والرصيد المتطوّر تلبيةً لما يستجدّ، والرصيد الثقافيّ المرتبط بالبيئة الحضارية والمستوى الحضاريّ، والرصيد العمريّ والتعليميّ المرتبط بمراحل عمرية معيّنة للأطفال؛ ونبّه على أنّ المتداول اللغويّ في أيامنا يستمدّ من الرصيدين الأوّلين، ويبذل للاتّساع في تداول غنيٍّ يفي بحاجات الحقبة الزمنية وتفاعلاتها.

والثاني: قسم تطبيقيّ عمليّ، عليه كان التركيز، «وهو يدور في فضاء لغويّ واسع» كما قال [ص١٠٤]، نهض فيه المؤلّف ببيان التطوّر الدلاليّ في جملة صالحة من الألفاظ والتراكيب التي تجري في المتداول اليوميّ من العربيّة المعاصرة. وقد بلغت تلك الألفاظ والتراكيب التي سردها فيه، وبيّنَ ما فيها من تطوّر دلاليّ بشيء من إيجاز، وساقها في عناوين ظاهرة زُهاء (١٣٨). وربّما سرد ألفاظًا أخرى قليلة في أثناء الكلام على بعض تلك الألفاظ المعلنة، على وجه من التقريب والتوضيح، أو التأييد، أو التنظير، أو المقارنة.

وكان من أمر المؤلّف أن صنّف تلك الألفاظ والتراكيب التي عُني ببيان تغيراتها الدلالية في ثلاثة أقسام أو محاور:

١- الألفاظ اليومية الحيوية في البيت والشارع والعمل والعلاقات

الاجتماعية.... وجعل لهذا المحور عنوان (تجوال مع الدلالة اليومية)، وساق فيه (٧٤) كلمة وتركيبًا، منها: تبُّولة، مكدوس، عقارب الساعة، غزْل البنات، الهاتف، قوّس، ذخيرة.

٢- ألفاظ من القطاعين الطبي والرياضيّ، عَنْوَنَ لها بـ(دلالات طبية ورياضية)، وساق فيها (٢١) لفظًا وتركيبًا، منها: ميزان الحرارة، القطرة، زراعة، الممرّض، الملاعب الخضراء، بطاقة حمراء، بيع اللاعب.

٣- ألفاظ من حقول المواصلات والتواصل والفن، صنّفها فيما أسماه (مع المواصلات والاتصالات والفنّ)، وساق فيها (٤٣) لفظًا وتركيبًا، منها: الشاحنة، صاروخ، سفينة الصحراء، الفأرة، الجوّال، شريحة، وجه جديد، لقطة، القناة.

وممّا نصّ عليه المؤلّف في تناول تلك الألفاظ [ص٢٥]: أنّ «خطّتنا قائمة على تتبّع عدد من الدلالات العربية فيما يقارب الحقول الدلالية، وذكر ما فيها من تطوّر، بالإشارة إلى المساحة الدلالية ووحداتها، وقوانين التطوّر الدلاليّ: التوسّع والتخصيص والنقل الدلاليّ، مع ما لها من خطٍّ تطوّريّ مشارك، وهو التطوّر من المحسوس إلى المجرّد.».

والثالث عَنْوَنَ له المؤلّف بـ (نصوص دلاليّة معاصرة)؛ وقد أورد فيه عشرة نصوص معاصرة صاغها المؤلّف كما قال [ص٩١] «متضمّنة الدوالّ في حالات نصيّة متنوّعة...لتكون مناسبة للتحليل بكثافة حضور الدوالّ المتطوّرة، وبتركيز عدد من الحقول الدلاليّة البارزة..، مسوقة في إطار حكائيٍّ مشوّق يقرّبها من حيويّة التداول اللغويّ.».

وقد عُنيَ المؤلّف بالتحليل الدلاليّ المكثّف للنصّ الأوّل، الذي لحظ فيه الرصيدَ اللغويّ العامّ المشترك الذي لا يتغيّر، والتطوّر الدلاليّ الذي كان في الاستعمال قديمًا، ولا يزال مستعملًا، والتطوّرات الجديدة، وراعى

طبيعة السياق وعلاقاته، والدوالّ المتطوّرة حديثًا، وميّز بين مكوّنات النصّ اللغويّة، والحقول الدلاليّة فيه.

وقد قدّم الدكتور الداية لذلك بمقدّمة بيّن فيها [ص٥] أنّ «الدراسة الدلاليّة جديدة في المناهج التعليمية [وهي دون شكٍّ جدّة نسبيّة]، رغم أنّ معطياتها تدخل الحياة اليومية، في مختلف المجالات التواصلية، في البيت والعمل والسوق والمدرسة والجامعة...».

وشدّد فيها على «ضرورة الوعي الدلاليّ في مفاصل حياتنا»، وبثّ [ص٦] أمله في «أن نجعل الدراية الدلاليّة بعضًا من الثقافة الشعبية، وعندها نتفاعل مع عربيتنا على نحو تواصليّ، وكلٌّ يجرّب تطبيقاتٍ فيها، وذلك ممّا تتيحه السليقة الحيويّة للغة».

ونصّ [ص٧] على «أنّ الوعيَ بالدلالة الواقعية المعاصرة التي تدور بيننا هو أساس لمجتمع منتج متماسك، زيادة على مكسب كبير هو إيماننا بفاعلية العربية واتّصالها بالحياة في مواجهة طغيان اللغة الأجنبيّة».

ونبّه المؤلّف [ص٧-٨] القارئَ على أنّ الوقوف على الدلالات التي نستعملها، وقد لا نعرف ماهيتها المتطوّرة والمتجدّدة «يفتح الأعين على كمٍّ كبير ومبرمجٍ للنيل من لغتنا بطمس المعرفة حولها وإغراق الفضاء الاجتماعي والتدريسي والثقافيّ بالرموز الأجنبيّة، وثمّة من يريد تطبيق ما وصفه ابن خلدون من التبعيّة في المجتمعات المتقدّمة القويّة في كلّ شيء، ولكنّنا نقول: وعينا بأنفسنا ولغتنا يحبط رغبات التدمير».

• من أهداف المؤلّف وغاياته:

ترى في مقدمة الكتيّب، أو في بعض كلام المؤلّف هنا وهناك، بعضَ الغايات والأهداف التي أرادها من وراء هذا الكتيّب، أشار إليها أو أعلنها

إعلانًا. ومن ذلك:

١- نشر الوعي الدلاليّ بحيث يصبح جزءًا من ثقافتنا الشعبية، ويجعلنا نتفاعل مع عربيّتنا على نحو تواصليّ.

٢- تعريف القارئ بماهية التطوّر والتجدّد في جملة من الدلالات التي نستعملها، وقد لا نعرف ماهية التطوّر والتجديد فيها؛ والتنبيه على ما في بعض وجوه الاستعمال المألوفة من حيويةٍ وفروقٍ دلاليّة.

٣- تأكيد فاعلية العربية واتّصالها بالحياة في مواجهة طغيان اللغة الأجنبية.

٤- التحذير ممّا يريده بعض الناس ويسعون إليه من طمس للهوية، وتغريبٍ وتبعيّة، والتنبيه على سعيهم المبرمج للنيل من لغتنا بطمس المعرفة بها، وإغراق الفضاء الاجتماعي والتدريسي والثقافي بالرموز الأجنبية رغبة في التدمير.

٥- نصح الباحثين من الأجيال الجديدة بالنأي عن تلك المتاهات التي تُصنّف في كتب، وتُجعَل رموزًا في معاجم، وتربك سيرورة العربية وحيويتها.

وكلّ ذلك دالٌّ على رؤية واضحة، ومنهج مسدّد، وراءهما غيرة صحيحة على العربية، ورغبة صادقة في خدمتها.

• المنهج:

كان المؤلّف يسوق في الدراسة التطبيقية، وهي مركز الكتيِّب، ألفاظ كل قسم أو محور في الدراسة التطبيقيّة غالبًا كيفما اتّفق، دون ترتيب معيّن، وهو ما نصّ عليه قبل الخوض في ذلك إذ قال [ص٢٦]: «ولن نعوّل ضمن كلّ محور على ترتيب أبجديّ أو سواه، فهذا مكانه فهرس في ختام الكتيّب».

كان يُعَنْوِنُ للكلام على كلّ لفظٍ أو تركيب ممّا اختاره من ذلك باللفظ أو التركيب نفسه، ثمّ يبيّن بالوصف والتحليل ما فيه من تغييرات دلاليّة، منبّهًا على العلاقة بين دلالة اللفظ أو التركيب المتداولة في الاستعمال

المعاصر وبين الدلالة العامّة القديمة، أو على ضروب التطوّر الدلالي من اتساع أو تخصيص أو نقل.

وعلى أنّه ربّما أوحى له الكلامُ على هذا اللفظ أو ذاك بلفظ آخر يضاهيه، أو فيه شيء ممّا فيه، فيتكلّم عليه في أثناء الكلام على اللفظ الأوّل كما في الكلام على (حفر الكوسا والباذنجان، والبطاطا والبندورة...) [ص٢٨-٢٩] الذي وقع فيه توسّع دلاليّ؛ لأنّ المعروف في استعمال الفعل «حفر» في العربية أن يكون للبئر والخندق بأدوات حادّة. ذكر المؤلّف ذلك، وذكّره باستعمال أهل حلب للفظ «قعور الكوسا»، فما كان منه إلّا أن بيّن ما فيه فقال: «وقد مرّ بتحوير صرفيّ بقلب مكانيّ لـ(عقر) فيقولون: قعور الكوسا... وقانون التطور هو النقل الدلالي، فالأصل عَقْرُ الإنسان أو الحيوان؛ أي: الإصابة بقطع أو جرح بليغ».

أو يتكلّم عليه بعد الفراغ من الكلام على اللفظ الأوّل كالذي كان مثلًا في كلامه على التطوّر المجازي الاستعاريّ في «مسح فلان الأطباق»: إذا لم يُبقِ فيها شيئًا من الطعام؛ لنهمه وحبّه للأكل؛ وفي «مسح اللصُّ الخزنة». انتهى المؤلّف من بيان ذلك الذي ذكّره بالفعل «نظّف» وما فيه من شبه ومضاهاة، فانتقل للكلام على اللفظ الآخر.

قال [ص٤٠]: «**نظَّفَ**: يتناوب هذا الدالُّ (**نظّف**) مع الدالّ (**مسح**) في الدلالة الأصليّة والدلالة المتطوّرة.».

ولذلك قد يمثّل المؤلّف تقريبًا وتوضيحًا وتأييدًا لما كان في بعض تلك الألفاظ من وجوه التطوّر الدلالي المعاصر بلفظ آخر من الألفاظ المعروفة التي أصابها ما أصاب ذلك اللفظ من تطوّر دلاليّ قديم. وهذا ما نراه في كلامه على كلمة «المِصْعَد» التي أصابها توسع دلاليٌّ؛ لأنّه يستخدم للصعود والنزول.

قال بعد أن انتهى من بيان ذلك [ص٥٢]: «وهذا يذكّرنا بالاستخدام القديم للدال (القافلة)، وتعني العائدة من سفر أو رحلة وما شابه، ولكننا نستخدم الدالّ في الذهاب والإياب، فنقول: سافرت القافلة».

وربّما دفع الكلامُ على هذا اللفظ أو ذاك المؤلّفَ إلى الكلام على بعض متعلّقاته ممّا كان فيه شيء من تلك المتغيّرات الدلاليّة. ومن ذلك أنّ كلام المؤلّف [ص٣٢-٣٣] على «الكُبّة» التي كان فيها تعميم لما فيها من شبه بالخيوط التي تُلفّ معًا =ساقه إلى الكلام على بعض أنواع «الكبّة» التي كان فيها شيء من التطوّر الدلاليّ. ومن ذلك النوع المسمّى بالدراويش.

قال المؤلّف: «الدراويش: وقد تطوّرت دلاليًّا بالاستعارة، وهي أشكال محشوّة ومقليّة مدبّبة الطرفين مخروطيًّا كما هي قلانس بعض الدراويش في أزيائهم...».

ومن جملة الألفاظ ما كان التغيّر الدلاليّ فيه متعدّدًا، وهو ما نبّه عليه المؤلّف إذ قال [ص٢٥]: «وسنجد دوالَّ تطوّرت عدّة مرّات من غير تعارض بينها، فالسياق هو الذي يحكم أبعاد الدلالة في النصّ».

وهذا الضرب من التغيّر كان المؤلّف يلتفت إليه أحيانًا في أثناء الكلام على اللفظ نفسه، أو ينقل الكلام على أوجه التطوّر وجهًا بعد وجه بحسب استعمال اللفظ إلى فقرات مستقلّة يعنون لها باللفظ نفسه.

فمن الأوّل مثلًا ما كان في الكلام على «الهوائيّ» [ص٩٠]، وهو مستقبل الموجات الكهرومغناطيسية للبثّ الإذاعيّ. وهذا فيه - كما قال المؤلّف- تخصيص دلاليّ؛ لأنّ الهوائيّ نسبة إلى كلّ ما يتّصل بالهواء وتصريف الأمور به. ووقع فيه إلى ذلك كما قال المؤلّف: «تطوّر دلاليّ آخر عبر المجاز الاستعاريّ، عندما يقول بعضهم معرّضًا بآخر: إنّه يشغّل

الهوائيَّ، ويقصد أنّ ذاك الرجل يُصيخ سمعًا، بل هو يسترق السمع».

وترى الثانيَ فيما كان في الكلام على كلمة «كشّاف» التي رصد فيها الدلالات المتطورة في أربعة من وجوه استعمالها [ص٥٧-٥٨] في أربع فقرات، جعل لكلٍّ منها العنوان نفسه «كشّاف»؛ «فالأصل -كما قال المؤلّف- أنّه اسم دالٌّ على مبالغة اسم الفاعل، وهو من يرفع ما غُطّيَ أو يُخرج المخبوء»، ثم كان من دلالته في المتداول المعاصر التعبير عن (الكشّافة)، تلك المنظمة التي تضمّ الفتيان والشباب، وتُعنى بجوانب تربوية واجتماعية ورياضية وثقافية، وأفرادها واحدهم «كشّاف»، وفي هذا كما قال المؤلّف تخصيص للدلالة.

ثمّ نبّه المؤلّف في عنوان آخر مستقل على ما في استعمال هذه الكلمة بمعنى مصباح الإضاءة اليدويّ الذي يُشحَن بالكهرباء، ويستخدم في أغراض شتّى لإنارة الطريق والحركة، من تخصيص.

ثمّ عرض في عنوان ثالث لما في استعمال «الكشّاف» بمعنى الجهاز الضخم المعلّق في أعلى المسرح، المستخدم لإنارة جوانب من المسرح ضمن تقنيات العرض التمثيلي، من توسّع دلاليّ.

ثمّ نبّه في فقرة رابعة على الاتساع الدلاليّ في استعمال هذه الكلمة بمعنى الموظّف الذي يسجّل استهلاك الماء والكهرباء من خلال العَدّادات التي في البيوت، مستعينًا في عمله بمصباح كشّاف، وهو استعمال يكثر في البيئة المصريّة.

وقد يدفع الكلام على التغير الدلاليّ في بعض تلك الألفاظ أو التراكيب إلى ربط ذلك بما في بعض اللغات الأجنبية كالفرنسية مثلًا. فمن ذلك ما كان في الكلام على «الفرنيّات»؛ ذكر المؤلّف [ص٤١] أنّ الدلالة

في هذه الكلمة «تطوّرت قبل ما يزيد على ألف سنة في تراثنا اللغويّ والمطبخيّ، فهم أطلقوا الدالَّ: «فرنيّة» مخصّصةً ما يُخبَز من حلوى بأشكال صغيرة ومتنوّعة الطعوم؛ لأنّها تنضج في الفرن، وواضح أنّهم ميّزوا بعضًا ممّا يُحضّر في الفرن». ثمّ ربط ذلك باللغة الفرنسية.

قال: «ونلحظ أنّ اللفظ الأجنبيَّ الفرنسيّ مطابق لهذه التسمية المخصّصة، فهم يقولون: صغيرة الفرن لأنواعٍ من معجنات الحلوى (petit four) . ونجد الأفران وباعة الحلوى وزبائن لهم يستخدمون اللفظ الأجنبيّ!!».

وإلى ذلك كله تجد المؤلّف أحيانًا يحرّك كلامه بنفس طريف، و يبثّ فيه إشاراتٍ تاريخيةً واجتماعية وثقافية متّصلة بالماضي القريب لبعض أنحاء البلاد كالغوطة وحلب والشام.

وما تناوله المؤلّف من الألفاظ والتراكيب التي عُني بتغيراتها الدلالية المعاصرة ممّا هو متداول في بلادنا خاصّةً، بيد أنّ بعض ذلك كما يدلّ كلام المؤلّف ممّا علق بذاكرته، ممّا سمعه بنفسه وكان شاهدًا عليه في بعض البلاد، أو ممّا حُدّث به. فمن الأوّل ما سمعه [ص٧٨] في الكويت في التعبير عن مقود السيّارة بـ«السُّكّان»، وفي التعبير عن سائق السيّارة بـ«راعي السيّارة»، وفي التعبير عن الشّحّاذ أو المتسوّل الذي لا يكفّ عن التجوّل بين الناس والأسواق سائلًا بـ«الطّرّار» [ص٥٩]، أو ما أَلِفه في ثمانينيات القرن العشرين في اليمن، وعاصمتها صنعاء، من التعبير بكلمة «الدّبّاب» [ص٧٥] عن «حافلة أجرة صغيرة تتّسع لستة ركّاب، بمن فيهم السائق».

وترى الثاني فيما رواه المؤلّف [ص٧٩] من أنّ الأستاذ عبد الهادي هاشم (ت١٩٨٨م) – رحمه الله – روى لطلاب السنة الثالثة في قسم اللغة العربية بجامعة دمشق، وكان المؤلّف منهم، أنّه سمع الليبيين أواخر

الخمسينيات يستعملون كلمة «المَرسى» للتعبير عن موقف السيّارات؛ ينقلون بذلك الكلمة نقلًا دلاليًّا من مرسى المراكب في البحر.

وإذا كان الغالب أن يتناول المؤلّف في كلامه التطوّرَ الحديثَ في تلك الدلالات، وما كان من اليوميّ المتداول؛ فإنّ ثمّة تطوّراتٍ وقعت في بعض تلك الألفاظ والتراكيب في الحقب السابقة في تاريخ العربيّة، ممّا يعرفه المختصّ والمطّلع، تجد المؤلّف أحيانًا ينبّه عليها، كما في كلامه [ص٥٤] على كلمة «السوق»: هذا الدال القديم الذي لا يزال متداولًا، وأورده المؤلّف كما قال للإضاءة على حركة الدلالة، وما في مساحته من اتساع بوحدات دلالية كثيرة =؛ وثمّة ما غاب عن مجال التداول اليوميّ، كالغدّارة التي بيّن المؤلّف [ص٦٠] أنّها كانت تُستعمَل بعد ابتكار المسدّسات والأسلحة الناريّة عامّة، حين كان الخصم يطلق النار عن بعد مفاجئًا، أي: أنّ يَغدِر بخصمه ولا يواجهه، للتعبير عن تلك الحالة أو عن السلاح الذي استُعمِل في تلك الحالة؛ وأنّ هذه التسمية غابت عن الاستخدام المعاصر بعد رواجها سنواتٍ في المواجهة الأولى مع تطوّر الأسلحة الفردية.

وقد يقترح المؤلّف في بعض كلامه استعمالَ اللفظ الذي يذكره بديلًا عنِ اللفظ الأجنبيّ الشائع، أو يعدّه ترجمة مقترحة للكلمة الأجنبيّة المنتشرة. ففي كلامه على ما أسماه «هلاليات» [ص٤٢] ذكر أنّ ثمّة نوعًا من المُعجّنات الفرنسية التي أضيفت إلى الأنواع الشرقية، يتخذ شكل نصف دائرة مجدولة، وبداخله ضروب من الحشو: الزعتر والجبنة والشوكولاه والمربّى... ثمّ قال: «وكان اسمها الأجنبيّ جاءنا معها، وهو يمثّل تطوّرًا دلاليًّا بالنقل، (croissant) ؛أي: ما يشبه الهلال. **ويبدو أنّ اقتراحًا بهذا الاستعمال العربي مناسب للترابط بين الدالّ والمدلول**».

وفي كلامه على «صفحات الوجوه» [ص٨٣] قال: «**هذه ترجمة مقترحة لـ (face book) لعلها تقاوم الكسل في المبادرات اللغوية المطلوبة مع المبتكرات الجديدة وبسليقة اللغة التي يملكها الجميع بدرجات،** وواضح في أصل التسمية الأجنبية أن ليس القصد إلى الكتاب، وإنّما هي صفحات، فكلّ يدوّن صفحة أو أكثر يوميًّا، ثم عند الاختصار يطلق الدالّ: وجه (face) ، وهو ضرب من المجاز المرسل المعبّر، جزء عن الكلّ، وهو الإنسان وفكره الذي تصدر عنه الكلمات والجمل».

• ملاحظات:

هذا الكتيّب من جملة الجيّد الذي صدر في سلسلة (قضايا لغوية). وهو يدلّ على حسٍّ عالٍ بالعربيّة والمتداول من وجوه الاستعمال، وقدرة على التقاط التغيرات الدلاليّة، وربطها بالدلالات اللغويّة العامّة، والتعبير عنها بعبارة سهلة واضحة مبينة، ولك إلى ذلك أن تصف اللغة التي عبّر بها المؤلّف عن مراده بما وُصِفت به في العنوان الخارجيّ للكتيّب من أنّها «لغة واثبة رصينة مكثّفة». وكلّ ذلك من المعهود عن أستاذ جامعي له ما له من خبرة طويلة، ومعرفة متميّزة بالعربية، ولا سيّما في الدلالة وعلم الدلالة اللذين كان له فيهما مؤلّفات جيّدة لها ذيوع وانتشار، منها كتاب(علم الدلالة العربي – النظرية والتطبيق) ١٩٨٥م، الذي وصفه المؤلّف في هذا الكُتيِّب [ص١٦] بأنّه أوّل كتاب بالعربيّة يحمل هذا العنوان.

على أنّه بدا لي في مواضع معدودة ما يحتمل القول على القول؛ لأنّ الكلام فيها لم يبلغ في رأيي مبلغ ما ينبغي من الضبط والإحكام والتدقيق. ومن ذلك:

– أنّ المؤلّف نصّ [ص٢٧] على أنّ استعمال الفعل «لبس» مع الثوب

والمئزر والملحفة، وما يكون من مكمّلات داخلية مألوفٌ، وأنّ الدلالة تتسع اتّساعًا قريبًا مع لبس الجورب والعمامة؛ لوجود فعلي «جورب - تجورب» و«تعمّم»، وتتّسع على نحو أبعد مع الحذاء الذي يُستخدَم معه أصلًا «انتعل»، وكذلك مع الخاتم والحليّ.

وفي هذا الكلام ما يقتضي التعقيب من وجهين:

أ- أنّ إطلاق الكلام دون أيّ قيد أو إشارة زمنيّة مقيّدة، في ضوء عنوان الكتاب والغالب على مادّته وموضوعه، يدلّ على أنّ المقصود بذلك هو الاستعمال اللغوي المعاصر، في المتداول اليوميّ. وهذا يوحي بمفهوم الخلاف أنّ استعمال الفعل «لبس» مع هذه الملبوسات أو بعضها لم يُعهَد في كلام القدماء. وهو خلاف الواقع؛ لأنّ هذا الفعل «لبس» استُعمِل مع بعض هذه الأشياء قديمًا، في سياق الاستعمال لا في سياق الشرح والتوضيح. على أنّ استعمال الفعل الدالّ على تلبّس تلك الأشياء نحو: انتعل، واختتم، وائتزر،... أكثر وأظهر.

ب - تدبّر الكلام في سياقه موحٍ بأنّ الأصل في الفعل المستعمل في الدلالة على ارتداء المئزر والملحفة هو الفعل «لبس»، وهذا خلاف الأصل؛ لأنّ الأصل في ذلك استعمال الأفعال: «ائتزر - تأزّر، التحف - تلحّف». وعلى أنّه استُعمِل الفعل «لبس» معهما بلا خلاف.

- قال المؤلّف في كلامه على كلمة «المِخَدّة» [ص٢٨]: «يمثّل هذا الدالّ تطوّرًا دلاليًّا، فالأصل القديم كان الدالّ: الوساد والوسادة، وهو كلّ ما يوضع تحت الرأس عند النوم، ولكن لوحظتْ ملامسة رئيسية لطرف الوجه: (الخدّ)، فقيل تعميمًا: (مخدّة)...».

هذا ما قاله المؤلّف، وفيه في ضوء السياق، موازنة بما قاله من أنّ الدالّ

القديم هو الوساد والوسادة، وفي ضوء الغالب على مادّة الكتيّب وموضوعه = ما يدلّ على أنّ «المِخَدّة» ليست من المستعمَل القديم، بل هو من المتداول اليوميّ المعاصر.

وهذا – إن أراده المؤلّف – ممّا لا يصحّ؛ لأنّ هذه الكلمة من القديم الذي ورد في استعمال القدماء بلا خلاف، وعليه نصّتِ المعاجم القديمة، وفسّرتِ اشتقاقه؛ فقد ورد فيها أنّها اشتُقّت من «الخدّ»؛ لأنّه يوضع عليها، وتوضع تحته.

وممّا وردت فيه كلمة «مخدّة» من كلام القدماء قول أبي تمّام[٢]:

لا شيء أحسنُ منه ليلةَ وصْلِنا وقدِ اتّخذتُ مِخَدّةً من خَدّه

ثمّ إذا كانتِ العرب قد لحظت تلك العلاقة بين «المخدّة» و«الخدّ» منذ أن وضعتْ دالَّ «المِخدّة» فأين التطوّر الدلالي؟ أم هل يُعتبَر ذلك بالنسبة إلى مرادفه ونظيره من غير مادّته؟

– نصّ المؤلّف [ص٧٥] على ما في كلمة «الشموع» الواردة في الاستخدام التقني في محرّكات السيّارات من تطوّر الدلالة بالنقل؛ ثمّ قال: «ونحن نرجّح اللفظ العربيّ المتطوّر، وهو (الشموع أو الشمعات) بدلًا من بقاء اللفظ الأجنبيّ bougies».

ومن المناسب المفيد هنا أن أعرض رأيًا طريفًا رآه عالم اللغات الهندي د. ف. عبد الرحيم في بيان أصل هذه الكلمة؛ فقد نصّ[٣] على أنّ كلمة «البوجي» بمعنى شمعة الاشتعال في السيّارة، من الكلمات الدخيلة في اللغة العربية الحديثة من اللغة الفرنسية، وتُكتَب فيها بهذه الصورة:

(٢) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تح: محمد عبده عزام، ٤/ ١٩٣.

(٣) سحر الألحاظ في شعر الألفاظ، د. ف. عبد الرحيم، ص٣٦.

(bougie). ثمّ قال: «وقد تكون الحقيقة أغرب من الخيال. فاعلم أنّ هذه الكلمة الفرنسية من لغتنا العربية».

ثمّ بيّن أنّها في أصلها اسم المدينة الجزائرية «بِجاية» الذي حُرِّفَ إلى (bougie)، «واكتسبت هذه الكلمة معنى الشمع؛ إذ كانت هذه المدينة - وهي ميناء- تصدّر الشمع إلى أوربا». ثمّ قال: «فهذه بضاعتنا رُدّت إلينا مشوّهة المبنى، ومغيّرة المعنى».

- كان ممّا عُني به المؤلّف [ص٧٥] كلمة «الدبّابة» بمعناها المعاصر المتعارف، وهي كما قال: «آلية مدرعة هجومية مزوّدة بالأسلحة، لكنّها تتحرك بوساطة دوران سلسلة معدنية (الجنزير) تقوم مقام العجلات - الدواليب، وهذا ما يساعدها على عبور التضاريس المختلفة واقتحام مواقع العدوّ».

وقد ذكر المؤلّف ثمّة أنّ في هذا الدالّ نقلًا دلاليًّا من حقل الكائنات الحية التي تمشي مشيًا وئيدًا، في شيء من اختلاس الخطو، أو التسلّل المفاجئ.

وفي هذا نظر؛ لأنّ واضع هذا الدالّ «الدبّابة»- وهو يعقوب صرّوف (ت١٩٢٧م)[٤]- للآلية الحربيّة المدرّعة المعروفة، ربّما كان ينظر إلى تلك «الدّبّابة» القديمة التي عرفها المسلمون قديمًا، وهي كما قال ابن الأثير[٥]:«آلة تُتّخذ من جلود وخشب يدخل فيها الرجالُ ويقرّبونها منَ الحِصن المُحاصَر لينقُبوه، وتَقيهم ما يُرْمَون به من فوقهم».

«ولعلّ أقدم نصّ وردت فيه هو ما كان في حصار الطائف، إذ يقول المؤرّخون وكتّاب السِّيَر: «دخل نفر من أصحاب رسول الله ﷺ تحت دبّابة،

(٤) انظر المعجم العربي في لبنان، د. حكمت كشلي، ص٣٠١.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تح: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، ٢/ ٩٦.

ثمّ زحفوا بها إلى جدار الطائف ليخرقوه»[٦].

فكأنّ في استخدام «الدبّابَة» للآلية الحربية المحدثة انتقالًا من الدالّ القديم الذي وضعه القدماء في التعبير عن تلك الآلة القديمة بجامع المشابهة في وجه أو أكثر.

وقد ربط الأستاذ عبد السلام هارون (ت١٩٨٨م) بين الدالّين القديم والحديث، وأشعر كلامه بوجه من القربى. قال[٧]:«التسمية قديمة جدًّا، والمضمون مختلف»؛ ثمّ ساق ما يدلّ على قدم استخدام «الدبابة» عند المسلمين، وبيّن المراد منها، ثمّ قال: «التسمية الحديثة موفّقة تعبّر عن المعنى المعاصر تعبيرًا دقيقًا. وما أجدرنا أن نتريّث في التعبير عن مستحدثاتنا!؛ فإنّ من المقطوع به أن نوفّق أو نقارب، إذا نقّبنا في قديم تراثنا».

على أنّ ذلك الاسم القديم كان فيه نقل دلاليّ من حقل المشي (الدبّ) كما تدلّ عبارة بعض العلماء في تفسير الدالّ القديم. قال ابن سيده[٨]: «والدّبّابة: التي تُتَّخَذ للحروب، ثُمّ تُدْفَع في أصل حِصن، فينقُبون وهم في جوفها، سُمِّيت بذلك لأنّها تُدفَع فتَدِبُّ».

– اقتراح المؤلّف ترجمة (face book) بـ«صفحات الوجوه» كما مرّ قبل، فضلًا عمّا اقترحه غيرُه من الباحثين والمهتمّين من ترجمة هذه العبارة بـ«كتاب الوجه» أو «الواجوه» = ليس من الواجب المفروض؛ لأنّ هذا الاسم ونحوه بمنزلة اسم العلم، وأسماءُ الأعلام لا تلزم ترجمتها، إلّا إذا أردتَ أن تعرف معانيها.

---

(٦) كناشة النوادر، عبد السلام محمد هارون، ص٦١.

(٧) المصدر السابق.

(٨) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، (دبب) ٩/ ٢٨٠.

ومن المفيد هنا التنبيه على ما أفتى به مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية في مكّة، من [٩]: «أنّ كلمة «فيسبوك» بمنزلة اسم علم لموقع التواصل الاجتماعي الشهير «فيسبوك». وكذلك كلمة «تويتر» هي بمنزلة اسم علم لموقع التواصل الاجتماعي المعروف «تويتر». وأسماء الأعلام لا تُترجَم عادةً. وإذا تُرجمت فإنما تُترجم لمعرفة معانيها لا أكثر.

في هذا السياق يمكن اقتراح (الواجُوه) للفيسبوك و(المَغْرَد) لتويتر؛ لشرح معنى الاسمين للقراء العرب، وليس لاستبدالهما بالمصطلحين الأجنبيين؛ لأن الأمر يتعلق باسم علم كما تقدم. و(واجوه) و(غارود) على (فاعول) مقبولان، وقد ذهب بعض المترجمين العرب إلى جواز توظيف وزن (فاعول) في وضع المصطلحات الجديدة المتعلقة بالحاسوب. ومنها: (حاسوب) لجهاز الكومبيوتر، و(باحُوث) لمحرك البحث في الشبكة العنكبية مثل جوجل وغيره؛ و(خادُوم) لـ (server)، (ورابُوط) للبلوتوث (Bluetooth)... إلخ».

ولا ضير في رأيي من استعمال الكلمة معرّبة على هذا الوجه «فُسْبُك»، على وزن «فُعْلُلٍ»، اقتداءً بما رآه مجمع اللغة العربية في القاهرة [١٠].

- من سهو المؤلّف الذي لا يخفى عليه في ترتيب بعض المراجع التي ساقها في فهرس المراجع تقديمُ ما حقُّه التأخير وتأخير ما حقّه التقديم، فكانت (الفرائد الدرية) قبل (الصحاح)، وكان (القاموس المحيط) قبل

(٩) موقع مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية www.m-a-arabia.com الفتوى ذات الرقم ١٦٧٥.

(١٠) انظر: كتاب الألفاظ والأساليب، إعداد لجنة الألفاظ والأساليب في مجمع اللغة العربية في القاهرة، ٥/ ٢١١-٢١٨. على أنّ لجنة مصطلحات المعلوماتية في مجمع اللغة العربية بدمشق اعتمدت في ذلك لفظ «فيسبوك»، قائمة مصطلحات المعلوماتية، ص١٢٥. وكذلك فعل مجمع اللغة العربية الأردني في قائمة «مصطلحات جديدة».

(كتاب سيبويه).

هذا ما رأيتُ أن أعرض له أو أعرّف به أو أنبّه عليه من كتيّب (الدلالة العربية المعاصرة: تطبيقات في المتداول اليومي)، فلعلّ في ذلك فائدةً. والحمد لله ربّ العالمين أوّلًا وآخرًا.

* * *

المصادر والمراجع

- الدلالة العربية المعاصرة: تطبيقات في المتداول اليومي، د. فايز الداية، الهيئة العامة السورية للكتاب – دمشق، ٢٠٢١م.
- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تح: محمد عبده عزام، ط٣، دار المعارف – القاهرة.
- سحر الألحاظ في شعر الألفاظ، د. ف. عبد الرحيم، دار القلم – دمشق، ط١، ٢٠١٨م.
- قائمة مصطلحات المعلوماتية، إعداد لجنة مصطلحات المعلوماتية، مجمع اللغة العربية بدمشق، ٢٠١٧م.
- كتاب الألفاظ والأساليب، إعداد لجنة الألفاظ والأساليب، الجزء الخامس، مجمع اللغة العربية في القاهرة، ط١، ٢٠١٧م.
- كناشة النوادر، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط١، ١٩٨٥م.
- المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

- مصطلحات جديدة ،موقع مجمع اللغة العربية الأردني.
- المعجم العربي في لبنان، د. حكمت كشلي، دار ابن خلدون - بيروت، ط١، ١٩٨١.
- موقع مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية www.m-a-arabia.com .
- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تح: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

* * *